

# أَيُّهَا الْمَلِكُ

## ورسائل مهمة

فضيلة الشيخ الدكتور  
سعيد عبد العظيم  
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

هائل الشيخ

دار الأيمان  
السكندرية

دار القلم  
السكندرية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

محفوظ  
جميع الحقوق



رقم الإيداع ٢٠٠٥ / ٨٣١٣

الترقيم الدولي

977-331-404-9

دار الإفتاء  
للطبع والنشر والتوزيع  
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية  
تليفون فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أما بعد :

فما من نبيٍّ إلا وُبُعِثَ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ، وَقَدْ أُمِرْنَا  
أَنْ نَخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ، فَمَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا  
حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ  
أَنْ خَطَابَ الْكَبِيرِ يَفْتَرِقُ عَنِ خَطَابِ الصَّغِيرِ، وَالْعَالَمِ يَفْتَرِقُ  
عَنِ الْجَاهِلِ ..

وَالْأَسْلُوبُ الْمُسْتَعْتَمَدُ فِي الْخُطْبَةِ يَخْتَلِفُ عَنِ أَسْلُوبِ  
الْبَحْثِ وَالتَّأْلِيفِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَتِمُّ دُونَ تَغْيِيرٍ أَوْ تَبْدِيلٍ ﴿قُلْ  
مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾  
[يونس: ١٥]، فَمَا يَسَعُ أَحَدًا مَصَادِمَةَ نصوصِ الشَّرِيعَةِ لَا  
فِي بَدَايَةِ الطَّرِيقِ وَلَا فِي نَهَائَتِهِ، وَلَا فِي الْوَسِيلَةِ وَالْغَايَةِ.

وَقَدْ يَلْجَأُ الْإِنْسَانُ إِلَى الْإِجْمَالِ تَارَةً وَإِلَى التَّفْصِيلِ تَارَةً

أخرى، ولكل مقام مقال، فأحياناً تجد العالم يفسر ويوضح مفردات الكلمات ويكتفي بذلك، وأحياناً أخرى يعقد بحثاً في تفسير الآية كما صنع القرطبي في تفسير آيات الأحكام، فإذا مرّ بآية فيها ذكر البيع أو الربا أو الطلاق.. . تكلم على تفاصيل البيوع والطلاق والربا، مما نجده في كتب الفقه، وكما صنع القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فقد عقد بحثاً في نحو مئة صفحة في تفسير الآية يتعلق بموضوع الإيمان والكفر، وذلك في كتابه «محاسن التأويل» .

والناس يحتاجون لهذا وذاك، وما لا يتناسب مع هذه الفئة قد يتناسب مع الفئة الأخرى، والمهم إبلاغ الحق للخلق، واستفراغ الوسع في العلم النافع والعمل الصالح وتعبيد الدنيا بدين الله، وتضافر الجهود على ذلك، فمن الناس من يصلح للتدريس للمرحلة الابتدائية، ومنهم من يصلح خطابه لطلاب الجامعة، وكلاهما يُسدي نفعاً وخدمة ويسد ثغرة، وقد لا يستطيع الأول القيام بدور

الثاني، والثاني لا يُحسن في موضع الأول، وحسب الجميع أن يُخلص عمله لله، و أن يحرص على إتقان مهمته ودوره، ولا يُبالي إن وضعوه في المقدمة أو في المؤخرة، فالسهم الواحد ثلاثة يدخلون به الجنة، والدال على خير كفاعله.

وكل مسلم ينبغي عليه أن يكون له دور في النهوض بواجب الدعوة، سواء بماله أو دعائه، بشعره أو نثره، بخطبته أو درسه، بتعاهده الصغار أو الكبار، بسلوكه وقوله، وينهج في ذلك كله منهج الأنبياء والمرسلين، ويستخدم لذلك الأساليب المباحة والمشروعة كالشريط والكتيب، والدلالة على الدرس النافع المفيد..

ودور المسلم لا ينبغي أن يقل عن دور الهدهد الذي أتى نبي الله سليمان عليه السلام يقول له: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ نَبَأٌ بَيِّنٌ (٢٢)﴾ [النمل: ٢٢]، فهو في طيرانه بحثاً عن الماء لا ينسى دعوته، وكذلك أنت لا تنسَ وظيفتك الحقيقية في إبلاغ دين الله، حتى وإن كنت طبيباً أو مهندساً أو عاملاً أو طالباً.

ولعل الله أن يبارك في دعوتك حتى وإن كنت مغموراً،  
 كما بورك في دعوة صاحب يس، وأصحاب الكهف،  
 ومؤمن آل فرعون، وعبد الله الغلام، ولا تحقرن من المعروف  
 شيئاً، وربّ مبلغ أوعى من سامع، وربّ حامل فقه ليس  
 بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ولأن يهدي الله  
 بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم.

ولا يليق بك مع علو همتك أن تبذل لدعوتك فتات  
 وقتك، فالليل والنهار يصلح مجالاً للدعوة، وأقل القليل  
 يُحدث أثراً بفضل الله، ونحن لا نحترث في البحر، ولا نُؤذن  
 في مالطة أو في خرابة؛ فالاستجابة تفوق الخيال، وإقبال  
 الناس على طاعة ربهم يحفز النفوس الهامدة على بذل  
 الوسع.

وقد رأيت أن أصنع ما صنعه بشر الحافي في تبسيط  
 الوعظ القديم عندما قال: إن في هذه الدار نملة تجمع الحب  
 في الصيف لتأكله في الشتاء، فبينما هي في يوم من الأيام،  
 إذ أخذت بقمها حبة وجاءها عصفور، فأخذها هي والحبة،  
 فلا ما جمعت أكلت ولا ما أمّلت نالت.

وهذا مثال للموت الذي يأتي بغتة، وقد أمرنا بالإكثار من ذكره، وإذا كان البعض يصف شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه رجل خاصة، وابن القيم بأنه رجل عامة، فأين دورك أنت وخصوصاً ودعوتك دعوة عالمية، لا تقتصر على المتبحرين والمنقبات، ولا على حيز المسجد ولا على الخطبة والدرس، ونحن نريد العودة بالنفس وبالأمة من حولنا لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فكان لابد من الارتفاع لمستوى هذه الدعوة المباركة واغتنام كل الفرص وتوجيه الدعوة لكل الفئات والطبقات.

وقد طرحتُ ما يُقارب المئة عنوان، تصلح للخطبة والدرس والوعظ والتذكير، وكان الغرض في البداية نزولها كمطويات مختصرة لا كأبحاث مطوّلة، وقد لاقت رواجاً وقبولاً بفضل الله، ولكن ظهرت الصعوبة - مع هذا العدد الكبير - في الطبع والتوزيع والنشر؛ ولذلك رأينا وضع هذه العناوين في مجلدات صغار عساها تؤدي نفس الفائدة والغرض.

والله نسأل أن ينفعنا وإياكم بها ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾

(٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨] وما كان فيها من صحة و صواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ وقصور فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .  
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

سَعِيدُ عَبْدِ الْعَظِيمِ  
 يَفْرَأُ اللَّهُ وَالرَّبِّيَّةَ وَالْمَجْمُوعِ السَّامِعِينَ





## أين المضر؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فأين المضر من الموت وسكرته، والقبر وضمته، والصراط  
وحدته، أين المضر من أيام ولحظات ولت وأدبرت، انتهت  
لذتها وبقيت حسرتها وتبعتها.

أين المضر من ذنوب علمناها، وحقوق نسيناها وفرائض  
أضعناها؟!، أين المضر فالموت في رقابكم، والنار بين  
أيديكم، فتوقعوا قضاء الله في كل يوم وليلة، لقد فضح  
الموت الدنيا، فلم يترك لذي عقلٍ فرحاً، فلا تغرّنكم الحياة  
الدنيا، فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر  
موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول  
وسجال، لا تدوم أهوالها، ولن يسلم من شرّها نزلها، بينما  
أهلها منها في رخاء وسرور، إذا هم منها في بلاء وغرور،

أحوال مختلفة، وأنتم فيها على سبيل من قد مضى، كانوا أطول منكم أعماراً، وأشد منكم بطشاً، وأعمر دياراً وأبعد آثاراً، فأصبحت أموالهم هامدة، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة الصخور والأحجار في القبور، فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد نضارة العيش رفاتاً، فُجع بهم الأحياء، وسكنوا التراب، وارتحلوا فليس لهم إياب، وهيئات هيئات ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٠٠) ﴿

[المؤمنون: ١٠٠].

وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثوى، وارتهنتم في ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبعثرت القبور، وحصل ما في الصدور، ووقفتم للتحصيل، بين يدي الملك الجليل، فطارت القلوب؛ لإشفاقها من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحُجب والأستار، وظهرت منكم العيوب والأسرار.

هنالك ﴿ تَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [غافر: ١٧] ،  
 ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا  
 بِالْحُسْنَى ﴾ (٣١) [النجم: ٣١] ، ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِتْرَى  
 الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا  
 يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا  
 يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٤٩) [الكهف: ٤٩] .

أين المفر؟، فإنَّ الله لم يخلقكم عبثًا، ولم يدع شيئًا من  
 أمركم سدى، وإن لكم معادًا، فخاب وخسر من خرج من  
 رحمة الله، وحُرم الجنة التي عرضها السموات والأرض،  
 واشترى قليلًا بكثير، وفانيًا بباقي، وخوفًا بأمن، ألا ترون  
 أنكم في أسلاب الهالكين؟!، وسيخلفها من بعدكم  
 الباقون، كذلك حتَّى تُردوا إلى خير الوارثين، في كل يوم  
 وليلة تُشيِّعون غاديًا، ورائحًا إلى الله عزَّ وجل، قد قضى  
 نحبه، وانقضى أجله، ثم تضعونه في صدع الأرض، غير  
 ممهد ولا موسَّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحاب، وسكن  
 التراب، وواجه الحساب، مرتهنًا بعمله، وفقيرًا إلى ما قدم،  
 غنيًا عما ترك .

أين المفر؟، أراحل أنت أم مُقيم؟، وإذا كنت مرتحلاً،  
فإلى أين؟، إلى جنة أم إلى نار؟، فالحياة بغير الله سراب،  
يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله  
عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب .

لا تدري بماذا يُنادى عليك غداً، يُقال: يا عبد الله،  
سعدت سعادة لا شقاء بعدها أبداً، أم يُقال: شقيت شقاءً  
لا سعادة بعده أبداً؟!، فأنصف نفسك، فرحالك تُشد،  
وأنفاسك تُعد، والعارية تُرد، والتراب من بعد ذلك ينتظر  
الخد، وعلى أثر من سلف يمشي من خلف، وما عُقبى  
الباقى غير اللحاق بالماضي، وما ثم إلا أجل مكتوب، وأمل  
مكذوب ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ولو دامت  
لغيرك ما انتقلت إليك، وأنت وهي سترتحلان إلى الله ﴿إِنَّا  
نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

فلما الاغترار، وهل الدنيا إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؟! إن المؤمنين لم يطمئنا إلى الدنيا لبقائهم فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصممهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يُعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكرك، وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوأمين بأمر الله، فأنزل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه، أو كمال أصبته في منامك، فاستيقظت وليس معك منه شيء، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته، وقل لنفسك: أنا ذلك العبد المذنب المسيئ، أمرتني فلم أأتمر، وزجرتني فلم أنزجر، هذا عبدك بين يديك ولا أعتذر.

أين المفر؟، والعبد مسئول عن لفظه، ويُحصى عليه ذلك كله، أحصاه الله ونسوه، ويوضع ذلك في كتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحداً، فإذا تكلمت فاذا سمع الله إليك، وإذا هممت فاذا علمه بك، وإذا تفكرت فاذا

اطلاعه عليك، فإنه يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) ﴿[الإسراء: ٣٦].

تطوى الصحف، وتُرفع الأعمال، وسهام الليل لا تُخطئ، ودعوة المظلوم تُرفع دون الغمام، ويقول الله: «وعزتي وجلالي لأجيبنك ولو بعد حين» وضمة القبر تنسي ليلة العرس، وعند الله تجتمع الخصوم، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) ﴿

[الأنبياء: ٤٧].

أين المفر من يوم عظيم، قال عنه سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠) ﴿[آل عمران: ٣٠]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرَأٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً (٢٧) يا ويلتي

لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) ﴿ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] ، ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾ [الحج: ٢] .

وتأتي نفس تقول: ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦] ، وتقول الأخرى: ﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ (٤٤) ﴾ [الشورى: ٤٤] ، وثالثة تقول: يا ليتنا ﴿ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف: ٥٣] .

فاعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له، واحذر ما كان يحذره الأفاضل ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) ﴾ [الزمر: ٤٧] ، واعلم أنك موقوف بك بين يدي الله، ومسئول عن شبابك فيما أفنيته، وعمرك فيما أمضيته، ومالك من أين أخذته وفيما أنفقته، ومن نوقش الحساب عذب، فأعد للسؤال جواباً، وإن كنت ممن خرب آخرته وعمّر دنياه، فراجع نفسك، وأحسن ما بينك وبين ربك

يُحسن لك ما بينك وبين الخلق، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها.

أين المفر؟، أنت تُسئَل في قبرك عن ربك ودينك، وماذا تقول في الرجل الذي بُعث فيك، فإن كنت مؤمناً أُجبت بلسان فصيح: ربي الله، وديني الإسلام، والرجل الذي بُعث فينا هو محمد ﷺ، آمنت به وصدقت، ما تحتاج للملن ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] وإن كان العبد فاجراً، قال: هاه هاه، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمرزبة، لو سمعها الثقلان لصُعقوا.

فحياتك ولحظاتك وأنفاسك؛ يجب أن تكون إجابة على هذه الأسئلة الثلاثة، واصدق فالصدق منجاة، قبورٌ خرقت الأكفان ومزقت الأبدان، مصت الدم وأكلت اللحم، ترى ما صنعت بهم الديدان، محت الوجوه، وكسرت الفقار، وأبانت الأشلاء، ومزقت الأعضاء، ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء؟، أليس هم في مدلهمة ظلماء؟، كم



من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية، قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلات الأفواه دماً وصديداً، ثم لم يلبسوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً.

وتخيّل نفسك أثناء المرور على الصراط، وهو دحض مزلة، ولا بد لك من نور، ومن الخلائق من يمر عليه بسرعة البرق أو الريح، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من تخطفه كلاليب جهنم فتهوي به في قعرها، ويُعطى المنافقون نوراً على قدر عملهم الظاهر، فإذا توسطوا الجسر أُطفئ ما بأيديهم من مصابيح، فيقولون لركب الإيمان: انظرونا نقتبس من نوركم، فيقولون لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، فيضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب، باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره الذي يلي المنافقين فيه العذاب، فتهوي بهم كلاليب جهنم في قعرها.

فتخوّف على نفسك النفاق، واعلم أنك من الورود على يقين، ومن النجاة في شك ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ

رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴿ [مریم: ٧١، ٧٢].

كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدم الغائب»، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾ [المائدة: ٢٧].

أين المفر؟، أنفر من مهاد ووهاد إلى جبال وقلاع وحصون؟!، أنفر من بلد إلى بلد؟! نحن نفر من قدر الله إلى قدر الله، والفرار الحق يجب أن يكون إلى الله ﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)﴾ [الذاريات: ٥٠].

لقد خوطب الجيش يوماً وقيل له: البحر أمامكم، والعدو وراءكم، فكان لابد من جهاد كبير، وطلب لإحدى الحسينيين، إما النصر وإما الشهادة، فإذا قيل لك أين المفر، فقل: وعجلت إليك رب لترضى، فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فخف من الله على قدر قربه منك، على قدر قدرته عليك.

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل  
 خلوت ولكن قل عليّ رقيب  
 ولا تحسبن الله يغفل ساعة  
 ولا أن ما يخفى عليه يغيب

أين المفر؟، آية وردت في سورة القيامة، وسبقها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ (١٠)﴾ [القيامة: ٧ - ١٠]، وتلاها قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يَنْبَأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾ [القيامة: ١١ - ١٥].

فما الذي عملته منذ جرى عليك قلم التكليف ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)﴾ [فاطر: ٣٧]، جاءك النذير بالمشيب أو بلوغك سن الأربعين، وأعذر الله إلى رجل بلغ به ستين سنة، فتذكر أنه لا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إليه، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم، وما ربك بظلام للعبيد.

وتذكر أيضاً تطاير الصحف، فمن الناس من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يتناوله بشماله ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَقْرُوءَاتِي وَإِنِّي لَأَنْتَ أَتَى مُلَاقِ حَسَابِهِ ﴾ (٢٠) فهو في عيشة راضية (٢١) في جنة عالية (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ (٢٥) وَلَمْ أَدْر مَا حَسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خذوه فغلوه (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) ﴿ [الحاقة: ١٩ - ٣٢].

الخاتمة مطوية والحال مريب، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: « ثلاث أضحكتني حتى أبكتني: طالب دنيا والموت يطلبه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أأرضى ربه أم أسخطه، وغافل ليس بمغفول عنه » .

توهم نفسك ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) ﴿ [المطففين: ٦]، وقد علاك العرق، وأطبق عليك الغم، وضافت نفسك في صدرك من شدة الفرع والرعب، والناس

معك منتظرون لفصل القضاء ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٧) [الشورى: ٧]، ودعوى الخلائق يومئذ ربِّ سلم سلم، وينشغل أولو العزم من الرسل بأنفسهم، كلهم يقول: نفسي نفسي ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] ولا يجيبهم يومئذ إلا النبي ﷺ، لتعجيل عرضهم، والنظر في أمورهم.

فبادروا بالأنفاس، فلو حُبست انقطعت عنكم أعمالكم، وأنتم بحاجة لحسنة تُثقل الميزان، بحاجة لتسبيحة أو تحميدة، أو استغفارة، ولعلَّ الكلمة التي تتناول بها كتابك بيمينك غداً لم تقلها بعد، والروية في كل أمر خير إلا ما كان من أمر الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



## إن ربك لبالمرصاد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

إِنَّ مَنْ أَصْبَحَ بِلذَّاتِهِ مَغْتَبِطًا، أَيِنَ مِنْ كَانَ أَمْرُهُ فَرطًا؟!،  
ندم إذا ارتكب غلطًا، أَيِنَ مِنْ سَلَكَ سَبِيلًا شَطَطًا؟!، نزل  
لحدًّا وجاءه الملكان فأفزعًا وأقرطًا، وافتضح بقبيح،  
وانكشف الغطاء، قل للمشغولين بالفساد، الواقفين مع  
العناد: إلى متى ظلم العباد؟!، كم مُستلب ما نال المراد  
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ (١٤)﴾ [الفجر: ١٤] أما عاد العذاب  
على عاد؟، أَيِنَ مِنْ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ أَوْ كَادَ؟ كَادَهُ الْجَبَّارُ فَيَمُنُ  
كَادَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ .

بينما هم في ظلم المظالم سُئل على أقبح فعله الظالم،  
فبات يقرع سن نادم، ولكن وقت الكساد، فلا تغتر بمالك  
وقصرك، ولا تعجب بنهيك وأمرك، يا طائر الهوى ستؤخذ

من وكرك، وما تُعجز الصياد ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ .  
 من لك إذا سُئلت عن خلقك وجُوزيت بأقبح عملك؟  
 كم أرشدك إلى رشادك وأنت على فسادك؟ كم أدعوك إلى  
 إسعادك وأنت مُقيم على ضلالك، ضُرب بوق رحيلك وما  
 اهتممت بزادك، أنا في وادٍ وأنت في وادٍ، لقد بالغت لك  
 في النصائح وقمت منذراً عُقبى القبائح، والطريق واضح،  
 والعلم لائح ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٣)

[الرعد: ٣٣].

لقد أقسم سبحانه قسماً عَلم مضمونه أولو الأحلام  
 والنهى ، فقال: ﴿ وَالْفَجْرِ ١ ﴾ و﴿ لَيَالٍ عَشْرٍ ٢ ﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ  
 ٣ ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤ ﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ٥ ﴾

[الفجر: ١ - ٥].

﴿ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ أي لذي لب وعقل، وقيل جواب القسم  
 ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ أو لتعذبن يا كفار مكة، وبين القسم  
 وجوابه تذكير ببعض الهلكى من الأفراد والجماعات، يقول  
 تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ ﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ ﴾

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ  
بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْبِلَادِ (١١)  
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣)  
إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ (١٤) ﴿ [الفجر: ٦ - ١٤].

والخطاب وإن توجه للنبي ﷺ إلا أنه يعم الجميع، وكان  
أمر عاد وثمود عندهم مشهوراً، إذ كانوا في بلاد العرب،  
وحجر ثمود موجود اليوم، يمر الناس عليه، وهي ديار  
صالح، لما دخلها البعض، قال النبي ﷺ: «لا تدخلوا على  
هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين  
فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبكم ما أصابهم».

وأما قوم عاد، فأثارهم قيل في الربع الخالي، وأمر فرعون  
كانوا يسمعون من جيرانهم من أهل الكتاب، واستفاضت  
به الأخبار، وبلاد فرعون متصلة بأرض العرب.

وقد كان قوم عاد من العماليق، وهم الذين عناهم الحق  
سبحانه بقوله: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ  
وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَنَا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ



مِنْهُمْ قُوَّةٌ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴿﴾ [فصلت: ١٥]  
 وكانوا كفاراً جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله، واتبعوا أمر  
 كل جبار عنيد، وقال لهم نبيهم هود: ﴿﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً  
 تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا  
 بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا  
 الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَاتٍ  
 وَعِوَانٍ ﴿١٣٤﴾ ﴿﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٣٤].

فلم يرفعوا بذلك رأساً ﴿﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا  
 نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ  
 إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي  
 بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا  
 تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴿﴾ [هود: ٥٣ - ٥٥].

وقد أهلكهم سبحانه بالريح العقيم على الرغم من  
 ضخامة أجسامهم، وكان دمارهم فيما استبشروا به، قال  
 تعالى: ﴿﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ  
 مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تدمر  
 كل شيء بامر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي

الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥]، وقال:  
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ  
الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا  
يُنصَرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [فصلت: ١٦]، وقال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا  
عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ  
كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢].

أما ثمود فهم من نحت الجبال والصخور والرخام، كما  
قال المفسرون، فبنوا من المدائن ألفاً وسبعمائة مدينة، كلها  
من الحجارة، ومن الدور والمنازل ألفي ألف وسبعمائة ألف  
كلها من الحجارة، وقد قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ  
الْجِبَالِ بَيْوتًا آمِنِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الحجر: ٨٢]، وكانوا لقوتهم  
يُخرجون الصخور وينقبون الجبال ويجعلونها بيوتاً  
لأنفسهم، كانوا كفاراً وكانوا مفسدين ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ  
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

[النمل: ٤٨].

ولما سألوا نبيهم صالح آية على نبوته، خرجت لهم ناقة

عظيمة من الصخر، فقال: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، وحذرهم من أن يمسوها بسوء، فخرج قدار بن سالف - بموافقة قومه - فعقرها وهو أشقى القوم، يقول سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِم رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)﴾ [الشمس: ١٤، ١٥].

وقد توعدهم نبي الله صالح عليه السلام بحلول العذاب بعد ثلاثة أيام من قتل الناقة ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥)﴾ [هود: ٦٥]، وكان هلاكهم بالصاعقة والصيحة والرجفة، ونجا صالح عليه السلام والذين آمنوا معه من هذا العذاب ﴿فَتَوَلَّيْنَا عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)﴾

[الأعراف: ٧٩].

لقد هلكت ثمود كما دمرت عاد ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١)﴾ [النجم: ٥٠، ٥١] أما فرعون ذي الأوتاد، فقد ادعى الربوبية والألوهية مع الله، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى (٢٤)﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال:

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ [الزخرف: ٥١] أفسد في الأرض وكان سفيهاً، ورغم ذلك قال لقومه: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٢٩) ﴿ [غافر: ٢٩] لقد ضُرب به المثل، والأوتاد هي الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشد ملكه على قول ابن عباس رضي الله عنهما، أو هي التي كان يُعذب بها الناس ويشدهم بها إلى أن يموتوا، تجبراً منه وعتواً، وهكذا فعل بامرأته آسية وماشطة ابنته، وقيل: كانت له صخرة تُرفع بال بكرات، ثم يُؤخذ الإنسان فتوتد له أوتاد الحديد، ثم يُرسل تلك الصخرة عليه فتشده.

وأياً ما كان، فقد كان طاغياً مُفسداً في الأرض، ورغم ذلك قال عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (٢٦) ﴿ [غافر: ٢٦] ولم يكتف بذلك، بل حشد الجموع للإجهاز عليه ومن آمن معه ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٦١) ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦٢) ﴿ [الشعراء: ٦٠ - ٦٢] وما كاد نبي الله موسى يقولها إلا

﴿ وَأَمْرٌ ﴾ أَنْ اضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴿ [الشعراء: ٦٣] .

وإذا كان فرعون قد ادعى يوماً أنَّ الأنهار تجري من تحته، فإنَّ الله بقدرته أجراها من فوق رأسه جزاءً وفاقاً ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿ [فصلت: ٤٦] .

ثم إنَّ فرعون عندما أدركه الغرق قال: ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿ [يونس: ٩٠] فقليل له: ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلقك آيةً ﴿ [يونس ٩١] .

فالعبد تُقبل توبته ما لم يُغرغر، وما لم تتردد الروح في الحلقوم، وهلك فرعون مع الهالكين، وبقي عبرة للمعتبرين ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ ﴿ أي يرصد عمل كل إنسان حتى يُجازيه به .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ على جهنم سبع قناطر، يُسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان، فإنَّ جاء به تاماً جاز إلى القنطرة الثانية، ثم يُسأل عن الصلاة فإنَّ جاء بها

جاز إلى الثالثة، ثم يُسأل عن الزكاة، فإن جاء بها جاز إلى الرابعة، ثم يُسأل عن صيام شهر رمضان فإن جاء به جاز إلى الخامسة، ثم يُسأل عن الحج والعمرة فإن جاء بهما جاز إلى السادسة، ثم يُسأل عن صلة الرحم فإن جاء بها جاز إلى السابعة، ثم يُسأل عن المظالم، وينادي منادٍ ألا من كانت له مظلمة فليأت، فيُقتص للناس منه، ويُقتص له من الناس، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِالْمَرْصَادِ﴾.

إن الله تعالى يسمع أقوال الخلق ونجواهم ويعلم أعمالهم وأسرارهم فيُجازي كلاً بعمله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤)﴾ [العلق: ١٤] ولما قيل للبعض: أين ربك؟ فقال: بالمرصاد.

وقرأ البعض سورة الفجر عند المنصور، حتى بلغ هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِالْمَرْصَادِ﴾ فقال: يا أبا جعفر، فهذا وعيد للجبابرة، وكأنه أراد أن يدق الظلمة بإنكاره، ويقمع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه، فقبل أن تُقدم، اعلم أن الله مُجازيك بقبيح فعلك، وقد يعاجلك بالانتقام منك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ [آل عمران: ٤١] ، وقال سبحانه :  
 ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو  
 انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ [المائدة: ٩٥] ، وقال : ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ  
 مُخَلَّفٌ وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ [إبراهيم :  
 ٤٧] ، وقال : ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ [الروم: ٤٧] ، وقال : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ  
 بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾  
 [السجدة ٢٢] ، وقال لنبيه ﷺ : ﴿فِيمَا نَذهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ  
 مُنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ [الزخرف: ٤١] .

وقال عن فرعون وقومه : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ  
 فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سُلْفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾  
 [الزخرف: ٥٥ ، ٥٦] ، وقال : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى  
 إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ [الدخان: ١٦] .

والمنتقم هو الذي يقصم ظهور العتاة، ويُنكل بالجنة،  
 ويُشدد العقاب على الطغاة، وذلك بعد الإعذار والإنذار،  
 وبعد التمكّن والإمهال، والخلق يدورون في الدنيا والآخرة،  
 بين فضل وعدل، فمن دخل الجنة فهو المحمول على فضل

الله، ومن هلك في الدنيا وعُذِّبَ في الآخرة، فهو المحمول على عدل الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَّالْمُرْصَادِ﴾ قيل: إذا انتقمتم ممن هو دونك، فلا تأمن أن ينتقم منك من هو فوقك، وإذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك.

فيا أيها الظالم في فعله - والظلم مردود على من ظلم - تذكر ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَّالْمُرْصَادِ﴾، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨)﴾ [المرسلات: ١٦ - ١٨].

حدد النبي ﷺ مصارع القوم يوم بدر، فهذا مصرع أبي جهل، وهذا مصرع عتبة، وهذا مصرع شيبة بن ربيعة... فما تجاوزوا الأماكن التي حددها رسول الله ﷺ، وجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسرُكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟» فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد



بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» [رواه البخاري]، قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً.

عباد الله، أين الجبارون؟! وأين ما قصدوا؟! وأين أرباب المعاصي على ماذا وردوا؟! أين قوم نوح وعاد وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً، سارت بهم الأيام والليالي سيراً حثيثاً إلى ربهم وقدمت بهم على أعمالهم ، ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [٩٨] ﴿ [مریم: ٩٨].

إذا رأيتم من تطاول على عباد الله، وكفر بالله، وادعى القوة والجبروت، وأنه لا أشد منه، فقولوا له: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ ، ففعله بقوم عاد هو فعله بك، إن لم ترتدع عن بغيك وظلمك وتتوب إلى ربك، لقد قُتل صاحب يس ظُلماً وعدواناً، فهان الكفرة على ربهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ [٢٨] ﴿ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [٢٩] ﴿

ودخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وعقرت ثمود الناقة تعدياً لحدود الله، فاستحقوا الهلاك، قال تعالى:

﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾ [الشمس: ١٤، ١٥]، فكيف بمن قتل شيوخاً رُكَّع، وبهائم رُتَّع وأطفالاً رَضَّع، ورُوع البلاد والعباد ببطشه وطغيانه، قولوا له: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبَّالْمُرْصَادِ ﴾، قال تعالى:

﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩] وقال: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾

[العنكبوت: ٤٠].

أيها الظالم تنام عينك، والمظلوم منتبه يدعو عليك، وعين الله لم تنم، كيف تكون نجاتك لو رفعت الدعوات دون الغمام؟!، وقال سبحانه: «وعزتي وجلالي لأجيبنك ولو بعد حين» .

أين من ملكوا المشارق والمغارب؟!، أين بختنصر والنمرود؟! فاعتبر أيها المغرور بالعمر المديد والحصن والقوة والبأس والملك المشيد ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ .

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ، فَأَيْنَ هُوَ الْآنَ؟!، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، وأين فرعون وآله؟! ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦) ﴿غافر: ٤٦﴾ .

اللحود بيوتنا بعد الترف واللين، والقيامة تجمعنا وتنصب الموازين ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وكان قد عاينت ما فعلت في الكتاب مسطوراً، وعلمت أنك كنت في الهوى مغروراً، وبإلهام من آية لو نُقِشَتْ عَلَى قَلْبِكَ لَاسْتَقَامَ قَوْلُكَ وَفَعَلْتَ آيَةَ وَاحِدَةً تَكْفِيكَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



## لكل نبأ مستقر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالنصر عقبى الصابرين، والعاقبة للمتقين، وإن الله لا  
يصلح عمل المفسدين، ولا يضيع سبحانه أجر المحسنين،  
والناظر سيجد تدبير الكفرة تدميرهم، وكيدهم يرتد إلى  
نحورهم، وعلى الباغي تدور الدوائر، ومن سلَّ سيف البغي  
قُتل به، ومن حفر بئراً لأخيه سقط فيه.

وهي السنن لا تعرف المحاباة ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ  
تَبْدِيلًا (٦٢) ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ومن نظر في صفحات  
الكتاب المسطور والكون المنظور علم أن لكل حق حقيقة،  
ولكل أجل كتاب، وأن الظلم ظلمات، ولا يحق المكر  
السيئ إلا بأهله، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر  
يسراً، ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) ﴾ [فاطر: ٤٣].

أين من ملكوا المشارق والمغارب؟!، أين بختنصر  
والنمرود؟! فاعتبر أيها المغرور بالعمر المديد والحصن والقوة  
والبأس والملك المشيد ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ .

إنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ، فَأَيْنَ هُوَ  
الآن؟!، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾  
[القصص: ٨١]، وأين فرعون وآله؟! ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا  
غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ  
العَذَابِ (٤٦)﴾ [غافر: ٤٦] .

اللحود بيوتنا بعد الترف واللين، والقيامة تجمعنا  
وتنصب الموازين ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾  
[الأنعام: ١٣٤] وكان قد عاينت ما فعلت في الكتاب  
مسطوراً، وعلمت أنك كنت في الهوى مغروراً، ويا لها من  
آية لو نُقِشت على قلبك لاستقام قولك وفعلك آية واحدة  
تكفيك ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



## لكل نبأ مستقر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالنصر عقبى الصابرين، والعاقبة للمتقين، وإن الله لا  
يصلح عمل المفسدين، ولا يضيع سبحانه أجر المحسنين،  
والناظر سيجد تدبير الكفرة تدميرهم، وكيدهم يرتد إلى  
نحورهم، وعلى الباغي تدور الدوائر، ومن سل سيف البغي  
قُتل به، ومن حفر بئراً لأخيه سقط فيه.

وهي السنن لا تعرف المحاباة ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ  
تَبْدِيلًا (٦٢) ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ومن نظر في صفحات  
الكتاب المسطور والكون المنظور علم أن لكل حق حقيقة،  
ولكل أجل كتاب، وأن الظلم ظلمات، ولا يحيق المكر  
السيئ إلا بأهله، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر  
يسراً، ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) ﴾ [فاطر: ٤٣].

أعشى البصر أو البصيرة، وتظل المعاني الإيمانية سالمة عن كل معارضة، نصدق شرع الله، ونكذب التجارب والنظريات والخبرات، بل ونكذب الدنيا بأسرها إن هي صادمت الكتاب والسنة، ولسان حالنا ومقالنا ينطق: آمنت بالله وكذبت عيني.

ولذلك نُقسم بالله أن ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، وأن الموت نهاية كل حي، والكل سيُعاني الموت وسكرته، والقبر وضمته والصراط وحدته، والناس بين آخذ كتابه بيمينه، وبين آخذ كتابه بشماله، وغداً ينكشف الغطاء ويتبين لمن كانت بضاعته النفاق أن ما حصله كان سراباً، وأن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النيران، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وكل ما ورد في الكتاب والسنة لابد وأن يتحقق ويقع كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، فالمسألة مسألة وقت، والوعد والوعيد كما أخبر القدير سبحانه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) [يس : ٨٢]، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٦٤) [مريم : ٦٤].

لقد أخبر النبي ﷺ أمته عن طاعون عمواس، وحدث ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس، كما قال الحافظ ابن حجر، وقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة» فذكر منها فتح بيت المقدس [رواه البخاري] وقد تم ذلك في عهد عمر رضي الله عنه سنة ست عشرة من الهجرة، وبنى بها مسجداً في قبلة بيت المقدس.

وقال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ ﴾ [القمر: ١] ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقين، فقال رسول الله ﷺ : «اشهدوا ، اشهدوا» [رواه مسلم] .

وقد اتفق العلماء أن القمر قد انشق في عهد رسول الله ﷺ ، وأن انشقاقه إحدى معجزات رسول الله ﷺ ، ودليل من دلائل نبوته .

وقد أخبر ﷺ عن استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة، وقال: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه» [رواه



مسلم] ، وقد كثر المال في عهد الصحابة رضي الله عنهم بسبب ما وقع من الفتوح، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فكان الرجل يعرض المال للصدقة فلا يجد من يقبله .

وفي الحديث: « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى » [رواه البخاري ومسلم] ، وقد كان خروجها سنة ( ٦٥٤ هـ ) ، ووصفها ابن كثير وأبو شامة والنووي وغيرهم .

وورد «ألا إنَّ الفتنة ههنا، ألا إنَّ الفتنة ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان» [رواه الشيخان] ، فمن العراق وما والاها ظهر الخوارج، والشيعة، والباطنية، والقدرية، والجهمية، والمعتزلة، والمائوية، والمزدكية، والهندوسية، والبوذية، والقاديانية، والبهائية، والإلحاد، وسيكون ظهور الدجال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وقد أخبر الصادق المصدوق عن فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه ،

وكان عمر رضي الله عنه بمشابة باب كُسر على الفتنة، وقال صلى الله عليه :  
 « كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوآب » [رواه أحمد  
 والبخاري والحاكم] ، فلما بلغت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعض  
 ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فقالت : « أي ماء  
 هذا؟ » قالوا : الحوآب، قالت : « ما أظنني إلا راجعة » ،  
 وسأقت الحديث .

كما أشار النبي صلى الله عليه إلى موقعة صفين بقوله : « لا تقوم  
 الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان من المسلمين، يكون  
 بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة » [رواه البخاري  
 ومسلم] فالفئتان هما طائفة عليٍّ ومن معه، وطائفة معاوية  
 ومن معه، على ما ذكر الحافظ ابن حجر .

ومن ذلك تقليد الأمم الماضية، واتباع طريقتهم، فعن  
 أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه ، قال : « لا تقوم الساعة حتى  
 تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً  
 بذراع » ف قيل : يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال : « ومن  
 الناس إلا أولئك » [رواه البخاري] .

وظهور القلم، وتسليم الخاصة، وهو أن يُسلم الرجل على  
الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة، وانتفاخ الأهلة، وأن يُرى  
الهلال لليلة فيُقال لليلتين، وكثرة الكذب، وظهور  
الكاسيات العاريات والجلادين الظلمة، وانتشار الزنا، والربا،  
وشرب الخمر، وقتال الترك والعجم، وكثرة المطر، وقلة  
النبات، وتناول الناس بالبنيان، وضياع الأمانة، وارتفاع  
الأسافل، وإسناد الأمر لغير أهله، وذهاب الصالحين، وقبض  
العلم وظهور الجهول، وإخراج الأرض كنوزها المخبوءة،  
وظهور المعازف واستحلال ذلك، وتقارب الأسواق والزمان،  
وكثرة القتل، وظهور الشرك في هذه الأمة، وظهور الفحش  
وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وتشيب المشيخة، فالبعض  
يصنع بلحيته كهيئة حواصل الحمام، يحلق عوارضه، ويترك  
ما على ذقنه من الشعر، ثم يصبغه بالسواد، فيغدو  
كحواصل الحمام .

ومن ذلك كثرة الشح، وصدق رؤيا المؤمن، وكثرة موت  
الفجأة، وتمني الموت من شدة البلاء، وكثرة النساء، وقلة

الرجال، وتكليم السباع والجماد الإنس... وغير ذلك كثير من الأخبار الصادقة التي وقعت وتحققت

ومما يجعلك تقطع أن لكل نبأ مستقر ما أخبر عنه الصادق المصدوق مما لم تشاهده بعد كحسر الفرات عن جبل من ذهب، وكثرة الروم وقتالهم للمسلمين، وفتح القسطنطينية، وعودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً، ودروس الإسلام ورفع القرآن، وخروج القحطاني، وقتال اليهود، وخراب المدينة، وظهور المهدي والدجال ويأجوج ومأجوج، ونزول المسيح، وبعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين، كل ذلك سيحدث وفق خبره صلوات الله وسلامه عليه، وما عليك إلا أن تترك الواقع يُفسر لك هذه الأمارات وهذه العلامات، فلكل خبر حقيقة، ولكل شيء وقت يقع فيه.

فمن تعجل شيئاً من ذلك، قيل له: فماذا أعددت لها؟ وهذا هو القدر النافع المفيد؛ فقد أتى أعرابي لرسول الله ﷺ يسأله بصوت جهوري، ويقول: يا محمد، متى الساعة؟ فأجابه النبي ﷺ بنحو من صوته، وقال: «هاؤم، إن الساعة لآتية فماذا أعددت لها؟» .

وظهور القلم، وتسليم الخاصة، وهو أن يُسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة، وانتفاخ الأهلة، وأن يُرى الهلال ليلة فيُقال لليلتين، وكثرة الكذب، وظهور الكاسيات العاريات والجلادين الظلمة، وانتشار الزنا، والربا، وشرب الخمر، وقتال الترك والعجم، وكثرة المطر، وقلة النبات، وتناول الناس بالبنيان، وضياع الأمانة، وارتفاع الأسافل، وإسناد الأمر لغير أهله، وذهاب الصالحين، وقبض العلم وظهور الجهول، وإخراج الأرض كنوزها المخبوءة، وظهور المعازف واستحلال ذلك، وتقارب الأسواق والزمان، وكثرة القتل، وظهور الشرك في هذه الأمة، وظهور الفحش وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وتشيب المشيخة، فالبعض يصنع بلحيته كهيئة حواصل الحمام، يحلق عوارضه، ويترك ما على ذقنه من الشعر، ثم يصبغه بالسواد، فيغدو كحواصل الحمام .

ومن ذلك كثرة الشح، وصدق رؤيا المؤمن، وكثرة موت الفجأة، وتمني الموت من شدة البلاء، وكثرة النساء، وقلة

الرجال، وتكليم السباع والجماد الإنس... وغير ذلك كثير من الأخبار الصادقة التي وقعت وتحققت

ومما يجعلك تقطع أن لكل نبأ مستقر ما أخبر عنه الصادق المصدوق مما لم تشاهده بعد كحسر الفرات عن جبل من ذهب، وكثرة الروم وقتالهم للمسلمين، وفتح القسطنطينية، وعودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً، ودروس الإسلام ورفع القرآن، وخروج القحطاني، وقاتل اليهود، وخراب المدينة، وظهور المهدي والدجال ويأجوج ومأجوج، ونزول المسيح، وبعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين، كل ذلك سيحدث وفق خبره صلوات الله وسلامه عليه، وما عليك إلا أن تترك الواقع يُفسر لك هذه الأمارات وهذه العلامات، فلكل خبر حقيقة، ولكل شيء وقت يقع فيه.

فمن تعجل شيئاً من ذلك، قيل له: فماذا أعددت لها؟ وهذا هو القدر النافع المفيد؛ فقد أتى أعرابي لرسول الله ﷺ يسأله بصوت جهوري، ويقول: يا محمد، متى الساعة؟ فأجابه النبي ﷺ بنحو من صوته، وقال: «هاؤم، إن الساعة لآتية فماذا أعددت لها؟» .

فالعتب على من يتيقن أن وعد الله حق، ثم هو لم يستعد للقاء الله، ولم يُحسن المسير إلى الله، ولم يُطبق شرع الله في حياته الخاصة والعامة، وهذا الحال يُقرب للأذهان كيف ستقوم الساعة، ولا أحد في الأرض يقول الله الله، ولن تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة (صنم كانت تعبده دوس بتباله)، وحتى تُعبد اللات والعزى، ولن تقوم الساعة إلا على شرار الناس، يحدث ذلك رغم معاينة الناس لأمارات الساعة، ورغم أن الغيب يصير شهادة، فنعوذ بالله من الخذلان.

عباد الله، لقد علم الأنبياء والمرسلون أن لكل نبأ مستقر، وقد أمرنا بالاعتداء بهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] واستقرت هذه الحقيقة عند الصالحين، ولذلك كان الشموخ والعلو في الحياة وعند الممات، تحقق بذلك أبو بكر وعمر، وخبيب وأنس بن النضر، وحذافة السهمي، ومن قبل صاحب يس وأصحاب الكهف، ومؤمن آل فرعون، وعبد الله الغلام... كلهم تحقق أن لكل نبأ مستقر، إنها الطمأنينة الواثقة بالحق، والواثقة

بنهاية الباطل مهما تبجح، الواثقة بأخذ الله للمكذبين في الأجل المرسوم.

وما أحوج أصحاب الدعوة إلى الله في مواجهة التكذيب من قومهم، والجفوة من عشيرتهم، والغربة من أهلهم، والأذى والشدة والتعب في أقوامهم، ما أحوجهم إلى هذه الطمأنينة الواثقة التي يسكبها القرآن الكريم في القلوب، فإن لكل نبأ مستقر ينتهي إليه ويستقر عنده، وعندئذ يعلمون ما سيكون، فكلمة الفضل لله، والأمر كله بيد الله، إجمال فيه من التهديد ما يزلزل القول.

إنَّ الله غالب على أمره، ومُتم نوره ولو كره المشركون، والمستقبل للإسلام بغلبته وظهوره، حتَّى وإن كان واقعكم مؤملاً، وأمركم كاليتميم على موائد اللئام، ثقوا أن وعد الله حق، وأن دعوات الأسحار لا تُخطئ، وأن الاستقامة هي أعظم كرامة، ولكل نبأ مستقر، ولتعلمن نبأه بعد حين، وقل عسى أن يكون قريباً، فلا تيأسوا من روح الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





## يدمرون أنفسهم بأنفسهم ثلاث من كن فيه كنّ عليه

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله  
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالسُّنن لا تعرف المحاباة ولا الجاملات ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]، والشرع لا يُفرق بين المتساويين ولا يساوي بين المختلفين، وهلكة الماكر والباغي والناكث مسألة وقت، فالزمن جزء من العلاج، ولا يصح أن تهتز الثوابت والمعايير.

قال محمد بن كعب القرظي: « ثلاث خصال من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: المكر ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣]، والبغي: ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [يونس: ٢٣]، والنكث: ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [الفتح: ١٠].

فهذه الخصال من أسباب دمار أهلها، والعلاقة وثيقة بين

الأسباب والمسببات، والمقدمات ونتائجها، أعمالكم عمالكم، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وفي الحديث: «واعمل ما شئت فإنك مجزي به»، وصحَّ الخبر: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه» [رواه مسلم].

أتى رجل لأحد العلماء يقول له: إن بني فلان قد تواطأوا عليّ وصاروا يداً واحدة، فقال: يد الله فوق أيديهم، قال: إن لهم مكرراً، قال: ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله. قال: هم فئة كثيرة، فقال له العالم: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

وأنت تشتهي الخلاص من الكافرين والفاجرين، ثق تماماً إن مكرهم وبغيهم ونكثهم سيدمرهم تدميراً، فهم في واقع الأمر وحقيقته يهلكون أنفسهم بأنفسهم قبل أن يصل إليهم سلاحك، وما يعود وبال هذه الخصال السيئة إلا